مأزق الطلاق

(مرقس ١٠:١-١٢)

تأليف: جو شوبيرت

قبل مئة سنة، لم يكن الطلاق معروفا عمليا بين الأمريكيين، اننا لسنا سذج لنؤمن بانه لم يكن هناك في العام ١٨٨٣ زواجات مضطربة. ولكن لسبب ما كان من النادر جداً ان تصل حالات الزواج المضطرب إلى محاكم الطلاق، ٢٢ بالمئة من الأميركيين مطلقين في وقت ما في الماضي. أصبح الطلاق شائع جداً بحيث قدر بول غليك كبيرالديموغرافيين لقسم تعداد السكان بالولايات المتحدة، قدر بان من بين النساء اللواتي بعمر ٢١ سنة المتزوجات هناك واحدة من بين كل ثلاثة قد تطلقت. في الحقيقة إن لم يحدث شيء ليحد من نسبة الطلاق هذه، وتكهن بان ٤٠ بالمئة من جملة الزواج بالولايات المتحدة الأميركية ستنتهي بالطلاق. ليس من السهل الحصول على التقدير الدقيق في احصائية الزواج والطلاق. ولكن التقدير المعتدل هو بان زواج واحد من بين كل أربع زيجات ينتهي بالطلاق، ومن هذه الحالات يتزوج ٨٠ بالمئة منهم مرة أخرى.

١. السؤال الحساس (مر ١٠:١ ، ٢)

في الأصحاح العاشر من إنجيل مرقس أعلن يسوع إرادة الله بما يختص الطلاق. يبدأ الأصحاح بهذه الكلمات:

> وقام من هناك وجاء إلى تخوم اليهودية من عبر الأردن. فاجتمع إليه جموع أيضاً وكعادته كان أيضاً يعلمهم.
> فتقدم الفريسيون وسألوه، هل يحل للرجل أن يطلق امرأته؟ ليجربوه. (الآيتين ١و٢)

يحرص مرقس البشير على إظهار الدافع الذي شجع قدوم الفريسيون إلى يسوع. قال انهم جاءوا ليجربوه. ارادوا أن يسألوا يسوع سؤال حساس جداً. انهم كانوا على رجاء بان في إجابته سيقول شيء يؤدي إلى تفجر نزاع عظيم. كانت عداوتهم إليه في هذا الوقت قد بلغت أقصى حد حيث قرروا ان يهلكوه. لهذا اختاروا سؤال عسير، علموا بان هذا السؤال سيورطه في نزاع بغض النظر عن اجابته.

كانت في أيام يسوع، مدرستين للفكر مهيمنتين بين الشعب اليهودي في ما يتعلق بالزواج والطلاق. لعدم وجود مصطلحات أفضل، سنسميهما بالنظرية «السهلة» للطلاق حيث كان يقودها معلم يهودي يسمى هايليل؛ والنظرية «الصارمة» للطلاق ويقودها معلم يهودي يسمى شاماي. كانت النظرية السهلة للطلاق في تناقض شديد مع النظرية الصارمة للطلاق. قد جاء الفريسيون إلى يسوع وسألوه، بما مضمونه، «نطلب منك أن تقول لنا أي من الطريقتين هي الأصح.»

كانت النظرية السهلة تقول بان شريعة موسى تسمح للرجل أن يطلق إمرأته لأي سبب، بينما تتمسك النظريةالصارمة للطلاق بان يسمح بالطلاق فقط في حالة الخيانة الزوجية. هذا الإختلاف يتوقف على تفسير عبارة معينة في سفر التثنية ١:٢٤، وهو قانون هام للطلاق في العهد القديم. تقول الشريعة في تلك الآية

ما يلي:

> إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها، فإن لم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء، وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها، وأطلقها من بيته.

وكانت تتوقف هاتين النظريتن للطلاق في أيام يسوع على ما تعنيه العبارة «فيها عيب شيء.» مؤيدي النظرية السهلة للطلاق، أي أتباع هايليل، يقرون بان العبارة «فيها عيب شيء.» قد تكون أي شيء كما يعتبره الزوج. إذا حرقت الخبز أو لم تهتم بترتيب بيتها أو إذا كانت تصرخ بصوت عالي على الأطفال (كما قال يوسيفاس)، يكون للزوج التبرير في طلاقها. وبهذا المضمون يمكن للزوج أن يطلق زوجته كما شاء على حسب هذه النظرية.

والنظرية الصارمة للطلاق كانت تقول بان العبارة «فيها عيب شيء.» تشير بالكامل إلى الخيانة الزوجية وحدها. لا بد ان تكون التهم بالخيانة الزوجية مبنية على أسس قوية قبل ان يدعي اليهودي بحقه في الطلاق.

٢. الأجابة الإلهية (مر ١٠:٣-١٢)

كان يسوع نبياً وليس سياسيا. لم يكن مراوغا ولا دبلوماسيا. في إجابته أدان قادة اليهود بسبب عدم الاهتمام وطبعهم السيء نحو زوجاتهم. ورفض ان يورط نفسه في التزام قانوني مفرض، أي في نزاعات معلمي اليهود وتفسيرهم لهذه العبارة من شريعة موسى. عوضاً عن ذلك، عاد إلى الترتيب الأصلي للأشياء كما وضح في سفر التكوين. الآن، لاحظ الآيات من ٣ إلى ٩:

> فأجاب وقال لهم، بماذا أوصاكم موسى؟ فقالوا، موسى أذن أن يكتب كتاب طلاق فتطلق. فأجاب يسوع وقال لهم، من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية. ولكن من بدء الخليقة ذكراً وأنثى خلقهما الله. من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته. ويكون الاثنان جسداً واحداً. إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد. فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان.

السبب الكلي لشريعة موسى ليس لتأيد الطلاق وإنما لاصلاح ما هو شرير. قصد الله منذ البدء ان يكون رجل واحد لإمرأة واحدة طول الحياة. حق الطلاق الذي أورده موسى في الشريعة لم يبدل ذلك القصد الأصلي لله. قال يسوع في إنجيل مرقس ١٠: ٥ «من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية.» قساوة القلوب وحياة الخطية منعتا الشعب في أيام موسى ان يعيشوا في مستوى أسمى من الآداب كما توقعه الله منهم. كانت الأنانية العنيدة للشعب والتي جعلت موسى يسمح لهم بحق خاص {للطلاق}. النص المقابل من إنجيل متى يضعه كالآتي: «إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم. ولكن من البدء لم يكن هكذا» (متى ١٩:٨).

عودة إلى الأصحاح العاشر من إنجيل مرقس، نرى يسوع يجيب على تلاميذه في هذ الأمر:

> ثم في البيت سأله تلاميذه أيضاً عن ذلك. فقال لهم، من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها. وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر، تزني (الآيات ١٠-١٢).

أوضح يسوع القاعدة الأساسية للعلاقة الزوجية لتلاميذه. الطلاق لأي سبب ليس إرادة الهنا الأساسية وقصده. إذا كان يتحدث أحد عن ما يريده الله، يكون الطلاق مستثني. كان يسوع يقول ما قاله ملاخي النبي قبل مئات السنين في سفر ملاخي ٢:١٦ «لأنه {آي الله} يكره الطلاق.» عندما يجمع الله رجل وامرأة معاً في الزواج يجب أن يكونا متحدان دون أن يتفرقان. كما قال يسوع «ليس بعد اثنين بل جسداً واحداً.» لم يفكر يسوع عن الطلاق كمصلحتين منفصلتين لتمزيق كيان الواحد إلى جزئين.فان علم الحساب لله كما يختص بالزواج يختلف. انه قال «واحد + واحد = واحد.» أي استثناء آخر لهذه المعادلة يكون أقل من المثل الأعلى لإرادة الله.

يعلن الله المثل الأعلى بالنسبة له في مسألة ما، ويضع ذلك المبدأ بوضوح ثم يمضي قدماً ليعطي توصيات إضافية إلى الذين لا

يستطيعون بلوغه. الأمر الذي نحن بصدده يوجد في الأصحاح السابع من رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، يوضح إرادة الله الأسمى، حيث يقول: «وأما المتزوجون، فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها...» (١ كو ٧:١٠) تلك هي إرادة الله الأسمى. وفي الآية التالية يستمر بولس الرسول ليصدر توصيات للذين لا يبلغون ذلك الهدف لسبب ما. انه يضيف: «...(وإن فارقته، فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها)؛ ولا يترك الرجل إمرأته.» قال الله: «المثل الأسمى للزواج كما وضعه هو أن لا يفارق المتزوجين بعضهم البعض، ولكني أُلاحظ بان ليس الجميع يستطعيون بلوغ ذلك المثل الأعلى. فإن فارقت، لسبب ما، أبقى غير متزوج وإلا فصالح {من طلقتها}.»

إرادة الله هي ان يكون رجل واحد لامرأة واحدة لمدى الحياة. المثل الإلهي موضح في الأصحاح العاشر من إنجيل مرقس. لم يدون متى أي استثناء لذلك القانون. ولكن تعليم يسوع الكلي لأي مسألة لا بد أن يقرر باعتبار كل ما قاله هو في كل الأناجيل. عندما نفحص النص المقابل في الأصحاح ١٩ من إنجيل متى، نجد يسوع يذكر إستثناء واحد لهذا القانون الإلهي؛ إذ يقول: «وأقول لكم، إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني. والذي يتزوج بمطلقة يزني» (متى ١٩:٩). أضيفت العبارة «إلا بسبب الزنا» في سجل متى البشير. أستخدمت الكلمة «پورنيا»، التي تعني زنا بصفة عامة، سرد متى البشير كل ما قاله يسوع أكثر مما ورده مرقس أو لوقا البشيرين. يقول سجل متى بان لا يطلق الرجل امرأته ولا تطلق امرأة رجلها إلا عندما يكون هناك ممارسة الزنا في الزواج، وأي زواج فيما بعد في حين لم يحدث زنا، يجعل الطرفين مذنبين بارتكاب الزنا.

٣. خلاصات ملائمة

إذاً، ما هي الخلاصات التي نحصل عليها من كل هذا؟ الخلاصة الأولى هي ان الله يكره الطلاق. إرادته هي أن لا يكون هناك طلاق أبداً. انه يسمح للطلاق في حالة الزنا، ولكنه لا يأمر به. ما زالت إرادة الله هي ان يبقي الزوجان معاً طول الحياة بغض النظر عن ما حدث في تلك العلاقة. حتى وإن حصل زنا، تكون إرادة الله هي ان يُغفر ذلك وان يحمى الزواج حتى الموت.

صورة عدم الإنسجام هي واحدة من اسرار مجتمعنا المحزنة. لا يوجد اثنان قد ولدا منسجمان. لا يوجد اثنان قد ولدا ليجعلا الزواج ممتعاً دون ان يجروا تعديلات كثيرة في اعطاء النفس لبعضهما البعض بدون أنانية. عدم الإنسجام كسبب للطلاق ليس إلا إسم مهذب للأنانية المتراكمة لكل من الطرفين الزوج والزوجة.

قال محامي الطلاق في احد المرات بانه مقتنع تماماً بان جميع اللذين تزوجوا خطأ يستطيعون ان يكونوا سعداء إن كان لهم الكفاية من الحكمة ليحاولوا تحقيق ذلك. قد يكون ذلك بعيداً عن الزواج المثالي، ولكن عندما يقف رجل وامرأة أمام الله ويحلفا بوقار ليتزوجا بعضهما البعض في ما هو حسن أو غير حسن، فليساعدهما الله إن كانا يقصدان ما يقولان. ما جمعهما الله لا يفرقه الإنسان. قد تدرك الدولة الطلاق ولكن قصد الله هو ان يكون الزواج لمدى الحياة، وهو سيكون قاضينا الأخير.

الخلاصة الثانية هي ان كل من طلق امرأته أو زوجه إلا بسبب الزنا وتزوج باخرى، يزني. قد لا يكون هذا ما نريد أن نسمعه، لكن هذا ما قاله يسوع. كلماته غير قابلة لأي تفسير آخر.

هناك سبب واحد بسيط جعل يسوع يقول إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى، يزني. السبب الوحيد هو: ان ذلك الرجل أو تلك المرأة مازالا في رباط الزواج. علينا أن نلاحظ بان ليس للمحاكم الوطنية قوة أو حق لتحل الشركة التي جعلها الله. الرجل أو المرأة الذين تطلقا لسبب آخر غير الزنا، فهما لا يزالان في نظر الله زوج وزوجة وليس لديهما حق تحت سلطة الله ليكونا شركة جديدة. أي سبب آخر غير الزنا لا يمكن أن يحل زواج ولا

يطلق سراح الطرفين ليتزوجا زواجاً آخر، بغض النظر عن قرار المحاكم.

الخلاصة الثالث التي قد نحصل عليها من كل هذا هي ان الطرف البريء وحده يسمح له بزواج آخر بعد الطلاق بسبب الزنا. لاحظ بحرص تصرخ الكلمات كما دونها متى البشير: «وأقول لكم إن من طلق إمرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى، يزني...» (متى ٩:١٩)؛ ما قاله يسوع هنا هو: «من يطلق رفيق زواجه بسبب الزنا وتزوج بأخرى سيكون غير مذنب في نظر الله.» انه لا يمنح هذا الحق للزاني أو الزانية التي جلبت الطلاق. الذي له حق الزواج مرة أخرى هو من طلق زوجته بسبب الزنا. لا يقول الكتاب المقدس أي شيء عن حق زواج آخر للذي تم طلاقه. اني أومن بان علينا ان نعتقد بان ذلك الحق لا ينتمي إلى الطرف الزاني في الطلاق الروحي.

كان الطلاق في أيام يسوع هو تنازل دائماً، وليس مكافأة. كان الطلاق اعتراف بالإخفاق، وليست جائزة تمنح. وسمح به فقط عند الزنا لأنه لا يجبر الذي أخطي إليه أن يبقى في ذلك النوع من الزواج. يوجد كثير من الناس الفضوليين المتأثرين جداً بالمبادئ الاخلاقية المباحة والممارسات الخاطئة. لا يحلق الرجال فيما بعد بالطريقة القديمة بابريق وفرشاة، حيث يضع رغوة الصابون على الوجه ثم يحلق. يستخدم الرجال الآن علبة بخاخة أو أنبوبة، وعندما تنتهي نلقي العلبة أو الأنبوبة. قد حلقت أنا أيضاً بواحد من آلات الحلاقة الصغيرة التي تُحلق بها مرة ثم تُلقى. أُستخدم واحدة لمدة أسبوع ثم أرميها بكاملها. قد اعتدنا على إستخدام الشيء ثم التخلص منه عندما ننتهي من استخدامه. اعتدنا أن نبدل كل أنواع الماكينات والآلات التي نستخدمها في بيوتنا ومكان أعمالنا. ولكن البشر ليسوا أشياء تستخدم ثم تلقى خارجا. لا يمكن أستبدالهم. طرفي الزواج غير قابلان للتبديل. الإنسان هو أقيم من حيوان عامل ومنتج. على سبيل المثال، إذا قتل إختصاصي كهربائي، لا يقول ابن الفقيد «اني حزين بموت أبي، وأتمني ان تتزوج أمي إختصاصي كهربائي آخر.» بل يقول «اني حزين بموت أبي، وقد تتزوج أمي مرة أخرى، ولكنها لا تجد مثيل أبي.» لا نتمكن أن نبدل الإنسان كما نبدل أجزاء الآلة. أحب يسوع الفريسيين حقاً، أحبهم كالأب الذي يحب ابنه عندما يأخذ منه السكين الحاد. يعلم يسوع كم سيجرح الناس بعضهم البعض عندما يتعاملوا مع بعضهم كأشياء وليس كبشر مخلوقين في صورة الله.

الخلاصة

الكلمات التي قالها للفريسيين ليست أعتقادات لانسان آخر متخصص بعلم الإجتماع مكتوبة في (ملخص أدبي للقارئ: Reader's Digest)*. بل إنها كلمات يسوع الناصري، الذي مات من أجلنا والذي دعانا لنتبعه إن اردنا أن نجد الطريق لحياة فائقة وحياة أبدية. هنال دروس قليلة أخرى مؤلمة تحتاج إليها حياة أمتنا وكنيسة الرب أكثر من تشديد مجدد في تعليم يسوع عن بقاء الزواج. إن كان علينا نحن المسيحيين أن نكون ملح الأرض ونور العالم، فلا بد أن نظهر كل من تعليمنا وعملنا باننا نخضع لكلمة الله الحي في هذه المسألة. إن فعلنا أقل نكون غير مستحقين للإسم الذي نحمله.

هناك مكاناً للمغفرة تحت صليب المسيح لكل خطية. إن كنت أحد الذين اخفق في زواجه، اسمح لي أن أقول لك بانك لا تزال تستطيع أن تعطي حياتك ليسوع المسيح وتنال فيه الغفران. يوجد غفران وملء الحياة في العمل بكل مشيئة الرب يسوع.

---

* ملخص أدبي للقارئ: Reader's Digest هي مجلة شهرية بشكل كتاب صغير تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية؛ تضم محتوياتها الكثير من مختلف المواضيع في الحياة منها الأدبية والفنية والعلمية والسياسية ومقتبسات كثيرة مختلفة. تشبه في مضمونها «المختار».

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧